



● سفينة حربية عثمانية أصابها الصفت

السلطنة قضية المغرب في الاستقلال، واعترفت بذلك عام ١٩١٤.

١- وفي ختام المؤتمر قدمت خلاصة أعمال المؤتمر، والتوصيات التي اقترحها الزملاء المؤتمرون، وهي:

١- إنشاء مراكز للبحث العلمي عن التاريخ العثماني في الجامعات العربية، ومن قبل مؤسسات خاصة، وتأمين التمويل لها.

٢- وضع استراتيجية بحث علمي عن التاريخ العثماني.

٣- عدم اختزال مرحلة التاريخ العثماني فكرياً وتدويناً بالتاريخ العربي مهما كانت هناك من سلبيات، والدعوة إلى رؤية موضوعية في عملية التاريخ، وعدم الاستسباق وراء أحكام وآراء جاهزة تجعل من العثمانيين مجرد مغتصبين ومتسلطين.

٤- تعديل المناهج في الجامعات العربية من أجل إعادة بناء معرفة لطلابنا وتمكينهم من المعارف وأدوات المعرفة والبحث الضرورية، وفي مقدمها معرفة اللغة العثمانية واللغات الأجنبية؛

٥- عدم اقتصر أبحاثنا على الموضوعات السياسية والعسكرية، بل التفرغ إلى جوانب أخرى في البحث العلمي؛

٦- القيام بدراسات عمودية لموضوعات محددة مهمة، والابتعاد عن الدراسات الأفقية التي تبعد البحث عن الاستنتاجات المعمقة. ومن الموضوعات المقترحة: الأقليات، المجتمع، الإدارة، الاقتصاد، الثقافة؛

٧- ترجمة الأعمال التاريخية المهمة المرتبطة بموضوع العثمانيين والعالم المتوسطي؛

٨- إيجاد آليات أكثر سهولة للتواصل بين الباحثين العرب؛

٩- وضع بيبليوغرافيا مغربية حول الدولة العثمانية؛

١٠- الاهتمام بمكتباتنا العربية ودور الوثائق وأرشفتها وتصنيفها وتبويبها، ووضعها في تصرف العلماء والباحثين دون قيود أو عراقيل؛

١١- الاهتمام بموضوع الهجرات المغربية إلى بلاد الشام في العصر الحديث، وتتبع أسبابها وكيفية حدوثها ومسارها، وكيفية انصهار الأسر المغربية في المجتمع الشامي.

(\*) عيد كلية التربية في الجامعة اللبنانية.

مع الخلافة العثمانية، ومن تلعبهم إلى ألمانيا بعد عام ١٩٠٠ (زيارة امبراطور ألمانيا إلى طنجة)، وتحديدًا منذ فرض فرنسا حمايتها على المغرب عام ١٩١٢. كما تطرق إلى الدعاية الفرنسية المضادة، والتي بلغت ذروتها بصور فتاوى عن علماء مغاربة لمصلحة خلافة في شخص سلطان المغرب، بهدف نزع الشرعية عن السلطان العثماني.

وختم الحديث في هذا المحور محمد البكراوي (كلية الآداب، طهر المهرزاق فاس) بعدا خلافة حول العلاقات العثمانية - المغربية خلال الحرب العالمية الأولى. فعرض لأهمية المغرب الاستراتيجية والجيو سياسية في الصراع الدولي وفي محيطه الإقليمي. وتحدث عن الدعاية الألمانية - العثمانية المشتركة في المغرب لتتحريض على الثورة واشغال الجيش الفرنسي هناك. ومن أجل استراتيجية حربية، دعمت

وفي المحور التاسع والأخير، تحدث كاتب هذه السطور (الجامعة اللبنانية، لبنان) عن سياسة ألمانيا الإسلامية في المتوسط، بدءاً بمحاولات بسمارك استخدام صفة السلطان العثمانية كخليفة لحماية الاستعمار الألماني في أفريقيا، والتقريب ما بين السلطنة والمغرب الأقصى بهدف إزاح فرنسا هناك. كما تحدث عن تطور سياسة ألمانيا الإسلامية في الشرق والمغرب العربيين أثناء عصر وليم الثاني، التي وصلت إلى ذروتها بمحاولات تحريض العالين العربي والإسلامي على دول الولاك الودي أثناء الحرب العالمية الأولى. وخلص الباحث إلى أن هذه السياسة فشلت في تحقيق أغراضها. وفي المقابل، تحدث جامع بيضا (كلية الآداب، الرباط) عن الدعاية الفرنسية ضد الدولة العثمانية إبان الحرب العالمية الأولى. ورأى أن فرنسا كانت تخشى قبل الحرب من تعاطف المغاربة



● لوحة تمثل حصار القسطنطينية

٤ وقد أعادنا محمد حاتمي (كلية الآداب، سايس فاس) في هذا المحور إلى إشكالية العلاقة ما بين العرب والترك، مشيراً إلى تحكم العواطف والإيديولوجيات في عملية التاريخ لدى الباحثين من الجانبين. ثم بين إشكالية مساعي العثمانيين لإبقاء على حكمهم على العرب باسم الرابطة العثمانية، والمشاعر القومية للعرب، خصوصاً بعد تلاشي إيديولوجية الجامعة الإسلامية بسقوط السلطان عبد الحميد، وصعود الاتحاد والترقي إلى السلطة وطرحه شعار الأمة التركية.

وفي محورين منفصلين (السادس والسابع)، عالج باحثون علاقة المركز بكل من مصر والمغرب على انفراد. وفي ما يتعلق بمصر، طرح محمد العاملي (كلية الآداب، بني ملال) تساؤلات حول البناء الاقتصادي المصري عموماً، ووضع الأرض ونظام الجباية خصوصاً. وخلص إلى أن العثمانيين تأثروا في هذه المسألة بالنظم التي سادت في الدولتين الأيوبيه والمملوكية. وبين أن السلطان سليم الأول اعتبر الأرض المصرية أرض خراج، وأن تطبيق نظام الالتزام على مصر جاء في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، ثم جرى الانتقال إلى نظام الاحتكار في عصر محمد علي.

ومن جهته، أعادنا محمد حواش (كلية الآداب، بني ملال) إلى الحملة الفرنسية على مصر من خلال التعاطي مع فرمانات ورسائل للسلطان سليم الثالث وجهها إلى زعامات عربية وإسلامية من أجل التضامن الإسلامي مع السلطنة لمواجهة فرنسا. وقد وصفت رسائل السلطان الثورة الفرنسية بأنها قوة شريرة وفاسدة. أما عزمي أوزجان (جامعة مرمره، استانبول)، فلفت الانتباه إلى أهمية مصر بالنسبة للسلطان عبد الحميد الثاني وبقائها تحت الحكم العثماني. وتطرق الباحث إلى شكوك السلطان العثماني على الدوام بمخططات بريطانيا تجاه هذه الولاية العزيزة، مشيراً إلى أن أكثر ما كان يزعج عبد الحميد الثاني هو مخاوفه من أن تقوم بريطانيا بنقل الخلافة إلى خديوي مصر. ومن هنا، لم يكن السلطان يثق بعرباي باشا ولا بالخديوي عباس حلمي الثاني، معتبراً أن بريطانيا تنفذ خلفها.

وفي الشق الثاني من المحور (المركز والولايات)، تحدث عبد الحفيظ الطليلي (كلية الآداب، الرباط) حول صورة السلطنة في المغرب في الكتابات التي ظهرت في الدولتين. ورأى أن المؤلفات العثمانية ركزت على العلاقات ما بين استانبول والولايات، ما حين ظل قليلاً ما تناولته هذه الكتب من معلومات حول المغرب. ورأى شبه غياب لتاريخ عثماني عن المغرب في القرن السابع عشر، ثم اعتبر أن ما قام به العثمانيون من دراسات حول أوضاع دولتهم كان أكثر عمقاً من تلك التي وضعها الأوروبيون. وأشار في هذا الصدد إلى كاتب جلبي تحديدًا.

ومن جهته، ناقش إبراهيم كولير (جامعة موهلا، تركيا) الدور المميز لمنطقة جنوب غرب الأناضول في تزويد المغرب بالجنود. واعتبر أن انفتاح المنطقة غرباً، وقربها من مدينة أزمير، التي كانت نقطة تجميع للجنود اللواتي من مناطق أخرى، أضفا أهمية على دورها هذا. أما محمد أيد (كلية الآداب، طهر المهرزاق فاس)، فتناول هجرة يهود ليفرنو إلى الجزائر في نهاية القرن السابع عشر ومطلع القرن الثامن عشر، وكيف أنهم تحولوا إلى بورجوازية تجارية في الجزائر، ما لبثت أن لعبت دوراً تجارياً مميّزاً في مارسيليا وغرب أوروبا، عبر إقامة شبكات تجارية ووكالات نتجت عن ظروف داخلية في الجزائر وأخرى خارجية في أوروبا وغرب البحر المتوسط.

وختم الكلام في هذا المحور محمد أحمد الطوير (جامعة الفاتح، طرابلس)، الذي وضع تحت المجهر التاريخ الطويل للعلاقات العثمانية - الطرابلسية. ورأى الباحث أن هذه العلاقات مرت في ثلاثة عهود وسادها التقلب. وتحدث عن قهر الإنكشارية للسكان، وكيف أنه أدى إلى ظهور الأسرة القرمانلية. لكن احتلال فرنسا للجزائر جعل السلطنة تعيد حكمها المباشر على طرابلس عام ١٨٣٥، حيث عادت من جديد إلى فرض الضرائب الباهظة على الطرابلسيين، وبالتالي مقاومة هؤلاء لها إلى أن جاء الاحتلال الإيطالي للبلاد.